اللهجات العربية القديمة

كان المجتمع العربي قبل الإسلام قبليا يعيش في إطار القبيلة ويعدها دولته الصغرى التي ينتمي إليها ولاء وانتسابا . فالقبيلة كانت الوحدة السياسية الصغرى في المجتمع العربي ، وتشكل نواة دولة صغيرة بأمة صغرى من المجتمع تربطها وشيجة الدم أو النسب ، فأبناء القبيلة أبناء رجل واحد ينتسبون إليه [1] .

وتعد الأرض التي تنزلها وطنا لها ، وتجعل له حمى أو حدودا ، فلا تطأه قبيلة أخرى ، وقد فرضت طبيعة الحياة في الصحراء العربية على المجتمع العربي ظروفا قاسية جدا ، فأرض الجزيرة مجدبة قاحلة ، لا تهب سكانها إلا عطاء زهيدا ، وقد فرضت الجبال والرمال على قبائلها عزلة ، وتسببت هذه الظروف القاسية في عدم استقرار معظم القبائل لعدم توفر أسباب الحياة بشكل دائم في الأرض التي يحلون بها ، فهم دائما في ترحال يجوبون الصحراء بحثا عن الكلأ أو العشب طعاما لأغنامهم وإبلهم ، فلم توفر هذه البيئة القاسية أسباب الاستقرار إلا في أماكن محدودة بجنوب الجزيرة في اليمن وساحل الخليج العربي ، وبعض الأماكن بالحجاز مثل مكة والطائف ويثرب ، وقد كانت الكوارث الطبيعية والصراعات القبلية سببا في نزوح قبائل الجنوب نحو الشمال مما زاد رقعة المتحدثين بالعربية في هذه الأماكن وتعربت بعد الفتح الإسلامي ، وزادت رقعة العروبة بانتشار الإسلام في شمال أفريقيا وهجرة قبائل عربية إليها عن طريق أرض سيناء وعن طريق باب المندب وعبر بعض أهل اليمن وعمان إلى بلاد الحبشة ، فتعرب الساحل الأفريقي الشرقي بانتشار الإسلام فيه ، وغزت العربية لغة سكان هذه المناطق ، فتأثرت بها .

وكانت العوامل البيئية والصراعات والهجرات سببا في قطع الأواصر اللغوية وعدم الاتصال اللغوي الدائم وعدم اندماج اللهجات وانصهارها في لغة عامة ، والحد من الفروق بينها .

وقد كان لقبيلة قريش أعظم أثر في العربية الفصحى ، فقد نزل القرآن الكريم بعامة

---

(1) ارجع إلى كتابنا: الحكم القبلي في العصر الجاهلي ، مكتبة الانجلوا ط1/ 2001م ص7 وما بعدها .

لسانها ، وقد أجمع العلماء أن لسان قريش أبين لسان وأفصحه في العرب يليه لسان تميم ، وموطن قريش مكة بالحجاز .

ورصدت لهجات العرب في القبائل حسب إسناد أكثر اللهجات وهي: تميم ، أسد ، قيس ، طيء ، ربيعة ، هذيل ، عقيل ، بلحارث بن كعب ، عامر ، فزارة ، سليم. أسد شنوءة أو أزد شنوءة ، قضاعة ، خثعم ، بكر بن وائل ، قريش ، ضبة ، كنانة ، حمير ، فقعس (من أسد) ، دبير (من أسد) غنى ، غنم ، بنو مالك (من أسد) ، سعد ، كعب ، نمير ، بنو يربوع ، زبيد ، همدان ، عكل ، مرادة ، عذرة ، خزاعة ، أسد الشرى ، لخم ، وزبيدة.

وقد حكم علماء اللغة على لهجات بعضها بأنه فصيح ، يؤخذ به ويحتج ، وبعضها رديء شاذ لا يحتج به ، وقد وضعوا لذلك مقاييس يقيسون عليها الفصيح والشاذ ، ولم تقبل جميع اللهجات على ما في بعضها من شذوذ لا يتسق مع عرف العربية العام ، أو لا يوافق المشهور من اللغات عند العرب ، وهي اللغات المذمومة التي شذت عن عرف العربية في بضع ظواهرها في مستويات اللغة العربية الصوتية ، والصرفية ، والنحوية ، والمعجمية ، وقد جمع علماء العرب بعض هذه الظواهر الشاذة وقد سبق أن تناولناها في حديثنا عن اللغة الفصحى ، وقد قام علماء العربية أيضًا بحصر مظاهر الاختلاف بين لهجات العرب المأخوذ بها في العربية الفصحى ، والتي جاء بعضها محققا في بعض وجوه القراءات القرآنية في المستويات الآتية [1]:

أولا: الجوانب الصوتية:

1- الاختلاف في الحركات مثل: «نَستعين» بفتح النون ، و«نِستعين» بكسر النون . وهي مفتوحة في لغة قريش ، وأسد ، والكسر لغة هذيل مثل: تِعكف ، تِعرج ، لأنهم مولعون بالكسر .

2- الاختلاف في الحركة والسكون ، مثل: «معَكم» بفتح العين و«معْكم» بسكون العين ، وهي لغة ربيعة وغنم ، وهي بالفتح في «مع» في عامة لغات العرب .

---

(1) ارجع إلى: اللهجات العربية في التراث ص121: 124 .

3- الاختلاف في الإمالة والتفخيم في مثل: «قضى» و«رمى» ، فبعضهم يفخم وبعضهم يميل ، وأصحاب الإمالة هم تميم وقيس وأسد وعامة أهل نجد يميلون الألف لكسرة.

4- الاختلاف في التحقيق والاختلاس مثل: «يأمركم» و«يأمركم» . ومثل: **(عفى له)** و**(عفى له)** . وحذف الحركة أو اختلاسها في حالة الوصل ظاهرة وجدت في أعراب عقيل ، وكلاب ، وأزد الشراة .

5- الاختلاف في نطق صوت اللين في الفعل الأجوف المبني للمجهول مثل: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ** ﴾ [البقرة: 11] قيل بكسر القاف وسكون الياء لغة قريش ومجاوريهم من بني كنانة ، و«قول»: بضم القاف وقلب الياء واو ، لغة كثير من قيس وعقيل ومن جاورهم ، وعامة بني أسد . وقول بالإشمام لغة لهذيل وبني دبير .

6- الاختلاف في صفات الأصوات مثل: جهر قبيل طييء السين والصاد ، وهما مهموسان (لا يتذبذب فيهما الوتران الصوتيان) يقولون في سقر: زقر ، وفي الصقر: الزقر ، وفي الصراط: الزراط [1]. قال ابن خالويه: (الصراط) تقرأ بالصاد والسين وإشمام الزاي . فالحجة لمن قرأ بالسين: أنه جاء به على أصل الكلمة . والحجة لمن قرأ بالصاد: أنه أبدلها من السين لتؤاخي السين في الهمس والصفير ، وتؤاخي الطاء في الإطباق ؛ لأن السين مهموسة والطاء مجهورة . والحجة لمن أشم الزاي: أنها تؤاخي السين في الصفير ، وتؤاخي الطاء في الجهر [2]. وقيل: الصاد في لغة قريش ، وإشمامها زايا لغة قيس ، والزاي لغة عذرة وكعب وبني القين .

---

(1) السين صوت مهموس ، وإذا أجهر صار زايا ، والمقابل المجهور للصاد الزاي المفخمة التي تشبه نطق الظاء في الخطاب اليومي ، مثل: ظلم . وكلمة الصراط: الأصل فيها: السراط بالسين ، فخمت السين متأثرة بما بعدها (الراء) التي فخمت ، لأنها مفتوحة بعدها مد ، وأعقبها مفخم . وقلب الزاي في الزراط جهر للسين في السراط . والله أعلم . ارجع في ذلك إلى: بحوث ومقالات في اللغة للدكتور رمضان عبد التواب ص235 ، وإملاء ما من به الرحمن للعكبري ص7 .

(2) الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ، تحقيق عبد العالم سالم مكرم ، دار الشروق ، ط2/ 1397 هـ - 1977م ، ص63 .

7- الاختلاف في حركة ميم الجمع ، مثل (عليهم القتال) و (يؤتيهم الله) و(وبهم الأسباب) ، ينطقها بنو أسد بالضم دون السكون .

8- الاختلاف في إشباع الحركة وقصرها في مثل: به: بهي ، وله: لهو ، ومنه: منهو .

9- الاختلاف في حركة الحرف الصحيح مثل: فَخْذ ، عَضْد ، ونعْم في نَعْم لغة تميم . ومثلها مَلْك في مَلِك في لغة ربعية . وإِبْل في إِبِل ظاهرة تميمية ، وظاهرة حذف الحركات بدوية .

ثانيا: الجوانب الصرفية:

1- الاختلاف في إبدال الحروف ، مثل: أن ، وينطقها بعض العرب « عن » فالهمزة تقلب عينا في لغة تميم ، مثل: تحسب عني نائمة ، وهي لغة مذمومة . ويقال إن طيء تقول في إن: هن ، ومثلها قلب الحاء عينا في حتى وعتى بلغة هذيل . والإبدال في « أولئك » ، و « ألالك » . ومثل جبريل: جبرين ، جبرين لغة أسد ، ومثل لعل: لعن ويقول العوام: رخَّ في زخَّ (اشتد) . .

2- ومنها الهمز والإمالة أو التليين مثل بئر: بير . فأر . والإمالة أو تسهيل الهمزة لغة قريش وطيىء يقولون في « يؤاخي ، ويؤاكل » يواخي ويواكل ، والشائع أن الذي يهمز تميم ، والذي يسهل قبائل الحجاز .

3- الاختلاف في الحذف والإثبات ، مثل « استحيَيْت » و « استحيَت » و « صدَدْت » «أصْدَدْت » .

4- الاختلاف في التقديم والتأخير ، مثل «صاعقة» و «صاقعة» ، والصاقعة لغة بني تميم . وهنالك كلمات في الخطاب المعاصر وقع فيها إبدال وتستخدم في أقاليم مختلفة مثل خزرانة (نوع من العصي) تنطق في الدلتا: خرزانة . ومثل: أرانب تنطق في بعض مناطق الدلتا: أنارب ، ومثلها ملعقة: وتنطق معلقة في الدلتا .

5- الاختلاف في الحرف الصحيح يبدل حرفًا معتلاً نحو: «أما زيد» و «أيما زيد» [1]. وهو يعرف بالمماثلة الصوتية مثل دسس: دسّا قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: 10] . ومثل أملي: أملل ، وأمللناه لغة في أمليا ، وقد جاء في القرآن الكريم ﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: 282] [2]. وقال سيبويه: قالوا: أصيلال ، وإنما هو أصيلان [3].

6- الاختلاف في التذكير والتأنيث ، فإن من العرب من يقول: «هذا البقر» و «هذه النخيل» و «هذا النخيل» . وأهل الحجاز يؤنثون «الصراط» وبنو تميم يذكرون ، وممن يؤنثون بنو أسد ، وبعض بني أسد يقولون «هذا إبهام» والتأنيث أجود .

7- الاختلاف في الإدغام مثلك «مهتدون» و «مُهَدُّون» .

8- الاختلاف في صورة الجمع نحو «أسرى» و «أُسارى» وتجمع ناقة على أينق في الفصحى وتجمعها طيىء على «أونق» ، وتجمع ميثاق على مواثق ، وتجمعها طيىء على الميَاثق .

9- الاختلاف في الوقف على هاء التأنيث مثل: «هذه أمه» و «هذه أمت» . والمشهور أن أهل حمير يقفون على التاء ، وقد جاء ذلك في قول رجل من حمير: «أما إنه ليست عندنا عربيت» أي ليس عندنا عربية كعربيتكم [4] ، وقوله «عربيت» يريد العربية فوقف على الهاء بالتاء ، وكذلك لغتهم .

وتشير روايات أخرى إلى أن التاء المفتوحة لهجة قريش ، وهي التي جاء عليها الرسم في «رحمت» في المواضع السبعة بالبقرة والأعراف ، وهود وأول مريم ، والروم والزخرف ، ومثلها «نعمت» في أحد عشر موضعا من كتاب الله ، ومثلها «امرأت» في سورة القصص والتحريم وآل عمران ، ومثلها «قرت» بالقصص ، ومثلها «فطرت» بالروم ، ومثلها

---

(1) الصاحبي 30 .

(2) سر الصناعة لابن جني ، وزارة المعارف العمومية 1954م 1/ 134 جـ1/ 200 .

(3) كتاب سيبويه: طبعة الخانجي جـ4/ 240 ومثل ذلك: دنار . ومثل تسررت: وتسريت ، وتقضضت: تقضيت. المقتضب للمبرد ، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

(4) الصاحبي ص32 .، اللسان 2/ 291 مادة وثب .

«شجرت» في سورة الدخان ، و «لعنت» في آل عمران ، و «وجنت نعيم» بالواقعة ، و «وابنت عمران» في التحريم ، و «معصيت» في المجادلة ، و«كلمت ربك» في الأعراف .

وقد رأى الدكتور علم الدين الجندي أن هذا من أثر لهجة قريش في الإملاء القرآني ، واستدل على ذلك بالرواية التي وردت في لفظ «التابوت» ، فقد روي أن زيد بن ثابت الأنصاري كتبها بالهاء «التابوه» على لهجة الأنصار (أهل يثرب) وذلك في قوله تعالى: ﴿ **أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ** ﴾ [طه: 31] ، وقوله: ﴿ **أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ** ﴾ [البقرة: 248] ، وقد أمر عثمان رضي الله عنه أن تكتب في المصحف «التابوت» بالتاء على لهجة قريش، لأن القرآن أنزل بلسان قريش[1]. وقعت هاء التأثنيث تاء في بعض اللهجات المعاصرة كنحو: الحيات، وأثرت التركية في العربية فظهر: عصمت، حكمت، مرفت، وهي: عصمة، حكمة، مروة.

10- الاختلاف في الزيادة نحو: «أنظر» و «أنظور» ، أنشد الفراء:-

الله يعلـــــم أنـــــا في تلفتنـــــا يـــوم الفـــراق إلى جيراننـــا – صـــور

وأنني حيـث مـا يَثْنِـي الهـوى بـصري من حيـث مـا سـلكوا – أدنـو فـأنظور

11- الاختلاف في المد والقصر مثل: «هؤلاء» ، المد لغة الحجاز والقصر لغة تميم وبعض قيس وأسد. ومثلها: الحيا على ثلاثة أوجه: الحياء من الاستحياء ممدود وحياء الناقة ممدود. والحيا: الغيث والخصب مقصور يكتب بالألف ، وهو الياء فرارا أن يجمعوا بين ياءين[2] ، والحياء: (ممدود) المطر أيضًا .

ثالثا: الجوانب النحوية:

1- الاختلاف في الإعراب مثل إعمال «ما» وإهمالها في مثل: «ما زيد قائما» و «ما زيد قائم» فأهل الحجاز تعمل «ما» بشروط وتميم لا تعمل ما مازيد قائم[3]، وتميم تهملها .

---

(1) ارجع إلى: اللهجات العربية في التراث 109 ، 110 .

(2) المقصور والممدود للفراء . دار قتيبة ص40 .

(3) تعمل ما تشبيها بعمل ليس بشروط وهي: ألا يزاد بعدها إن نحو: ما إن زيد قائم، وألا تنتقض بنفي نحو: «ما زيد إلا قائم» وألا يتقدم خبرها على اسمها «ما قائم زيد» ، وألا يتقدم معمول الخبر نحو:=

ومثل: «إن هذين» و «هذان» وهي بالألف لغة بني الحارث بن كعب .

وقد خرج أبو حيان قراءة (إنَّ هذان لساحران) أنها جاءت على لغة بعض العرب من إجراء المثنى بالألف دائمًا ، وهي لغة لكنانة ولبني الحارث وخثعم وزبيد ، وأهل تلك الناحية ، ولبني العنبر وبني الهجيم ومراد وعذرة[1] ، والأشهر أنها لبني الحارث بن كعب.

2- إلحاق علامة التثنية والجمع بالفعل في مثل: ظلموني الناس . والأصل في قواعد العربية إفراد الفعل ، فنقول ظلمني الناس . دون إلحاق واو الجماعة بالفعل .

وقد روي أن قبيلة طيىء تلحق علامة التثنية بالفعل إذا كان فاعله مثنى في مثل: «جاءا الرجلان» ، ومثل: «اختلطا دم وماء» ، «وجاءتا فتاتان» . وتلحق كذلك علامة الجمع بالفعل الذي أسند إلى فاعل جمع مثل: «جاءوا الناس» . «وذهبن النساء» .

وحكي مثل ذلك عن قبيلتي أزد شنوءة ، وبلحاث بن كعب ، وهما من القبائل التي تمت لأصل قبيلة طيىء بصلة[2]. وقد عرفت هذه الظاهرة عند علماء النحو القدماء بـ «لغة أكلوني البراغيث» ، وعند المحدثين بـ «ظلموني الناس» .

رابعًا: الاختلاف في الدلالة:

1- التضاد في معنى اللفظ الواحد ، فقد تستخدم قبيلة اللفظ بمعنى وتستخدمه أخرى بمضاده مثل: «وثب» في لهجة حمير باليمن بمعنى أقعد أو أجلس ، وعند أهل الحجاز بمعنى وقف وقفز . روى أن زيد بن عبد الله بن دارم ، وفد على بعض ملوك حمير ، فألفاه في متصيد له على جبل مشرف ، فسلم عليه وانتسب له ، فقال له الملك: «ثب» أي اجلس ، فظن الرجل أنه أمره بالوثوب من الجبل ، فقال: «لتجدني أيها الملك مطواعا» ثم وثب من الجبل فهلك ، فقال الملك: ما شأنه؟ فخبروه بقصته وغلطته في

= «ما طعامك زيد آكلُ» . وألا تتكرر ما نحو: «ما ما زيد قائم» . وألا يبدل من خبرها معنى موجب نحو: ما زيد بشيء إلا شيء لا يعبأ به» شرح ابن عقيل جـ1/ 302: 304 .

(1) البحر المحيط لأبي حيان 6/ 255 .

(2) ارجع إلى: مقالات وبحوث في اللغة ، ص 252 ، والاشتقاق لابن دريد ، ص 361 .

الكلمة ، فقال: «أما إنه ليست عندنا عربيَّت: من دخل ظفار حمّر» [1]. أي ليست عربيته كعربيتنا – يعني لهجته – من دخل مدينة ظفار فليتعلم الحميرية .

وجاءت وثب بمعني أجلس في الحديث الذي روته ظمياء بنت عبد العزيز بن موألة ، قالت: حدثني أبي ، عن جدي موألَة: أن عامر بن الطفيل قدم على رسول الله ﷺ ، فوثبه وسادة ، يريد فرشة إياها وأجلسه عليها [2].

ومثل ذلك كلمة «شيم» لها معنيان متباينان من باب الأضداد إذ أحدهما يدل على الإظهار والآخر يدل على خلافه ، فالأول في قولهم: شمتُ السيفَ إذا سللته . والمعنى الآخر خلافه: شمت السيفَ إذا قربته (جعلته في قرابه وهو الغمد)[3].

روي أن امرأة أسرها عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي ، وأخبرها أنه قتل رجلا من قومها وأخذ سيفه ، فقالت له: «هذا – والله – غمد سيفه ، فشمه إن كنت صادقا» [4]. أي سله من غمده .

وروى أبو بردة بن نَيَار عن النبي ﷺ ، قال: «إن هذا الرجل جاء وأنا نائم ، فسل سيفي ثم قام به على رأسي ففزعت به ، وهو يقول: يا محمد! من يؤمنك مني اليوم؟ قلت: الله!» قال أبو بُرْدة: فوثبت إلى سيفي فسللته ، فقال رسول الله ﷺ: شِمْ سيفَك. قلت يا رسول الله ! دعني أضرب عنقَ عدو الله ، فإن هذا من عيون المشركين. فقال لي: اسكت يا

---

(1) الصاحبي ص32 . ولسان العرب 2/ 291 مادة وثب . قوله عربيت ، يعني العربية ، فوقف على الهاء بالتاء ، فلهجات اليمن تثبت التاء في التأنيث وقفًا ووصلاً ، ولا تقلبها هاء ، وقيل إن هذا هو الأصل في العربية. وقد روي: «ليس عندنا عربية كعربيتكم» يعني لهجة وهذه برواية الشماليين .

(2) الصاحبي ص31 . قال ابن فارس: والوثاب: الفراش بلغة حمير. ارجع إلى الدلالة اللفظية، الدكتور محمود عكاشة مكتبة الأنجلو ص172، 173.

(3) معجم مقاييس اللغة ، تحقيق أبو الحسن بن فارس ، عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت م3/ 236 .

(4) المغازي للواقدي ، تحقيق مارسدن جونس . مؤسسة الأعلمي جـ2/ 779 .

أبا بردة [1]. «وشم سيفك» : أغمده أو ضعه في الغمد .

2- اختلاف اللفظ ، قيل إن حمير تسمي الذئب: القلوب ، ويسمون الأصابع: الشناتر. ويسمون الصديق: الخلم [2]. وروى أن عمر رضي الله عنه سأل عن قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: 47] وهو على المنبر ، وقال ما تقولون فيها؟ فسكتوا ، فقام شيخ من هذيل ، فقال: هذه لغتنا. التخوف: التنقص ، فقال: هل يعرف العرب ذلك في أشعارها؟ قال: نعم ، قال شاعرنا أبو كبير يصف ناقته [3]:

تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن

وقد أورد ابن قتيبة هذا المعني في قول طرفة – على إحدى الروايتين:

وجامل خوف من نبته زجر المعلي أصلا والمنيح

وذكر أن خوع معناها: نقص ، وقد جاءت في رواية أخرى بلفظ «خوف» : بمعنى نقص ، وهي حينئذ تتفق والقرآن الكريم [4].

وتوجد وجوه أخرى في اختلاف اللهجات [5]، وبعضها وقع في اللهجات العربية المعاصرة، وصار معلمًا فيها .

---

(1) المغازي 3/ 892 .

(2) الصاحبي ص39 .

(3) تفسير البيضاوي جـ 3/ 182 .

(4) الميسر والقداح ، لابن قتيبة ص 59 ، 60 واللهجات العربية في التراث جـ1/ 107

(5) ارجع إلى اللهجات العربية في التراث، والمحتسب لابن جني . والمزهر للسيوطي، والاقتراح له أيضًا.